المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص531-551

ثورة سلطان أغداس ضد الاستعمار الفرنسي في صحراء الآيير 1916-1920م

Sultan Agadez rebellion against French colonialism in the Ayar Desert 1916-1920

إبراهيم بتقة

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)

b.betka@univ-dbkm.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/02
تاريخ القبول:
2021/05/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ طوارق الآيير
- ✓ حرب كاوسن
- ✓ الاستعمار الفرنسي
- ✓ الصحراء الكبرى
- ✓ سلطان أغداس

الملخص:

تعد ثورة سلطان أغداس "عبد الرحيم تاغاما" ضد الاستعمار الفرنسي في الفترة الممتدة بين سنتي 1916م و1920م، من أهم الثورات وأكبرها التي واجهت الاستعمار الفرنسي في صحراء الآيير بإقليم "النيجر"، والتي كادت أن تنهي وجوده في الصحراء الوسطى لإفريقيا، وذلك بسبب توحد وانضمام جميع فروع قبائل الطوارق إليها هذه المرة بعد أن فشلت كل واحدة منها في مقاومة التوسع الفرنسي على أراضيها على انفراد في مطلع القرن 20م، لذلك اقتنعت ولبت نداء سلطان أغداس الذي نادى بالثورة ضد الفرنسيين، كما كان لاستعمال الأسلحة الحديثة وخاصة من طرف كتيبة الضابط الطارقي "كاوسن" أحد كبار متمرسي حرب العصابات للطريقة السنوسية في الشمال أن زادت في تعقيد الحرب لدى الضباط الفرنسيين، إضافة لشساعة إقليم الآيير الصحراوي الذي أنهك الفرق الفرنسية سواء في فك الحصار أو الملاحقة أو التزود بالمؤونة، خاصة وأن هذه الثورة كانت قد تزامنت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث كانت فرنسا مشغولة أكثر بحماية مجالها الحيوي في أوربا. وعلى الرغم من فشل هذه الثورة لظروف عديدة لكنها بقيت بصمة واضحة وصفحة مشرقة في صفحات المقاومة الشعبية للشعب النيجيري، الذي بقي يناضل ولو بالطرق السياسية من أجل نيل الاستقلال.

Article info

Received:
02/05/2021
Accepted:
21/05/2021

Key words:
- ✓ Tuaregs of Ayar
- ✓ Kaossen War
- ✓ French colonialism
- ✓ Sahara Desert
- ✓ Sultan of Agadez

Abstract:

The rebellion of Sultan Agadez "Abd al-Rahim Tagama" against French colonialism in the period between 1916-1920, is one of the most important and largest rebellion that faced French colonialism in the desert of “Ayar” in the "Niger" territory, which almost ended its presence in the central desert of Africa, due to unification and alliance of all branches of the Tuareg tribes that participated this time, they were convinced and answered the call of Sultan Agadez who called for rebellion against the French. The use of modern weapons, in particular by the battalion of Tuareg officer "Kaossen", a senior guerrilla veteran of the “Senussi sufiorder” in the north, increased the complexity of the war for the French officers. Add to that, the extrem vastness of the Saharan “Ayar” region, especially since this revolution had coincided with the outbreak of the First World War, as France was engaged in protecting its vital area in Europe. and despite the failure of this revolution due of many circumstances, it remained a clear imprint and a bright page in the pages of the popular resistance of the Nigerian people, who continued to struggle even by political means after this rebellion, in order to gain independence.

مقدمة

سعت السلطات الاستعمارية الفرنسية بكل جهدها في تسريع عملية ربط مستعمرة الجزائر بمستعمرة غرب إفريقيا الفرنسية (AOF)، في خضم التنافس الاستعماري بينها وبين إنجلترا لكسب أراض جديدة، لكن مباشرة الفعل الاستعماري على الأرض كان مكلفا، وكان التوغل الفرنسي في أقاليم الصحراء الكبرى لإفريقيا صعبا للغاية وشهد عديد المقاومات الشعبية له، سواء في الشمال في مستعمرة الجزائر، أو في الجنوب في مستعمرة غرب إفريقيا الفرنسية، وخاصة من طرف قبائل الطوارق التي كانت رافضة للتوسع الاستعماري الفرنسي على حساب أراضيها، بعد أن كان قد أقبض سيطرته على الطرق التجارة العابرة للصحراء والتي كانت تعد أحد أهم مورد اقتصادي لهذه القبائل الصحراوية، لذلك ظهرت عديد المواجهات والمقاومات من طرف هذه القبائل ضد الفرنسيين، بدءا من طوارق الأهقار الذين كانوا وراء تأخير استعمار الصحراء الجزائرية لعقدين من الزمن خاصة لما أبادوا بعثة النقيب "**فلاترس Flatters**" في سنة 1881م، وعرقلوا عديد الرحالة والمغامرين المستكشفين للصحراء، وكانت المواجهة الحاسمة مع الفرنسيين في سنة 1902م في معركة "**تيت**" التي خسرها طوارق الأهقار.

والأمر نفسه كان مع طوارق الجنوب سواء في ثنية نهر النيجر (قبائل التونغيريغيدش، واللوغوماتن)، أو قبائل الإويليميدن بفرعيها (كال دينيك، وكال أتارام) أو كال غرس أو كال وي التي تقع أراضيها جميعا في شمال نهر النيجر، والمتوزعة اليوم في شمال دولتي مالي والنيجر، ولكن مقاومتها جميعا باءت بالفشل لأنها كانت بشكل فردي ومعزولة، ولم تعرف الانتظام والتوحد لمجابهة عدو مشترك إلى أن ظهرت شخصية سلطان أغداس، الذي استوعب أمر تشتت هذه القبائل وحاول تنظيمها في كتلة واحدة لإشعال فتيل الثورة في كامل أراضي الصحراء الكبرى، وعلى الرغم من نجاحه في إعلان الثورة وانطلاقها، لكنه فشل في إنهائها لصالحه، وهو ما يدعونا لطرح السؤال التالي: **هل تعود أسباب فشل ثورة طوارق الآيير لتفكك الحلف القبلي أم لفشل خطط المعارك الأولى؟**

سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن هذه الإشكالية، بالاعتماد على ما وفرته لنا مصادر تقارير الإدارة الاستعمارية، وعلى كتابات ما سجلته يوميات ومذكرات الضباط الفرنسيين العاملين حينها. وذلك في مساهمة لفهم أحداث سير ثورة مجيدة، وإبراز نضال الشعوب الإفريقية في مجابهة الظاهرة الاستعمارية في سبيل الانعتاق والتحرر.

1.التوسع الاستعماري الفرنسي في إقليم النيجر

بعد فشل البعثات الاستكشافية في إبرام اتفاقيات الحماية مع الأهالي، عمد الفرنسيون في مواصلة التوسع الاستعماري في منطقة أعالي السنغال والنيجر على الحملات العسكرية، وهذا لقطع الطريق على الإنجليز المتمركزين في نيجيريا الطامحين لزيادة أراضي مستعمراتهم شمالا وخاصة السيطرة على مراكز الطريق التجاري العابر للصحراء طرابلس–كانو، حيث سيطروا على هذا المركز الأخير "**كانو Kano**" الذي

يعتبر أهم مركز تجاري وصناعي في بلاد الهاوسا الذي يزود القوافل التجارية العابرة للصحراء بأهم السلع. ورغم الاتفاقيات الدبلوماسية التي جمعت الطرفين لتحديد حدود مستعمراتهم في إفريقيا في كثير من المرات، إلا أن تنفيذه على أرض الواقع كان صعبا.

لذلك دخل الفرنسيون في مواجهات عنيفة مع الأهالي متتبعين خط نهر النيجر وأحكموا السيطرة على مدينة باماكو في سنة 1893، وتمبكتو في سنة 1894م، وساي Say في سنة 1896م. وسيطروا على المدينة المهمة زندر Zinder في جويلية 1899م عاصمة إقليم "**الداماغارام**"، رغم فشل محاولة سلطانها "أمادو كوران داغا" في صدهم، والذي كان قد أفشل سابقا بعثة "**أعالي السودان**" لما قتل رئيسها النقيب "**كازيماجو Cazemajou**"[1]، ثم سيطروا على إقليم الدمرغو بالقضاء على مقاومة سلطان طوارق الإيموزراغ المدعو "**موسى دمرغومة**" المقيم في المدينة المحصنة تاناماري Tanamari، التي دمرها الغازون وقتل "**موسى**" في 19 جويلية 1900م، من طرف حملة الرقيب "بوتال Bouthel"، في خضم حملة إفريقيا الوسطى، وبمساعدة مناوئيه في المنطقة طوارق كال وي[2]، الذين كانوا قد فشلوا في اعتراض حملة الضابط "فورو لامي" كذلك.

وأمام فشل مقاومة التوسع الاستعماري فضل طوارق الإيموزراغ، أن يهجروا المنطقة عوضا عن أن يخضعوا للفرنسيين، وتبعتهم العديد من القبائل في ذلك، والتي منها: الإيكاسكازن، الإيغدالن، الإيمارسوتان Imarsutan، إفادالن، المالاماي Malamay، التمسجيدا، كال تاغاي Kel tagay، إيزاياكن Izayakan، إيزاغارن Izagheran، وكذلك كال غرس الناجين من معارك غالما Galma، وزونغيبي، رافضين بذلك تواجد جنود الاستعمار الفرنسي، آخذين طريق الكانم Kanem، حيث دعموا هنالك مقاومة شعوب هذه المنطقة للمد الاستعماري كذلك، بالتحالف مع أولاد سليمان بقيادة محمد البراني[3]، لمواجهة احتلال جنوب الكانم، بين سنة 1901م و1902م، لكنهم هزموا بدورهم.

هذا ولم تحتل عاصمة الآيير "**أغداس**" إلا في 19 سبتمبر 1904م، وتم إنشاء المركز العسكري بها حتى غاية 31 ماي 1905م، وتم إحلال الأمن في الآيير، بدوريات كل من قائد دائرة أغداس، النقيب بوست Posth، وقائد منطقة زندر رئيس المشاة بتريكس Betrix [4]، وكان إحتلال بيلما Bilma في 16 جويلية 1906م، بواسطة الملازم الأول كروبان Crepin[5]. وبدا إحلال الأمن في الشمال، والشمال الشرقي من الإقليم طويلا وصعبا بالتأكيد، وسجلت عدة مواجهات بين الجيوش الفرنسية والشعوب المحلية، وكانت من أهمها: معركة أغدام Agadem في 7 جويلية 1908م، وأشغور Achegur في 31جويلية 1909م، وديركو Dirku في 21 ماي 1910م، وكامودو Kamodo في 20 فيفري 1911م[6].

لقد جرت معارك طاحنة ضد امتداد الغزو الاستعماري في الآيير، والآدار، والأزواغ، وسجل التاريخ علاقات بين الطرفين تتم عن عدم الخضوع التام، وعلى الرغم من أن قبائل الطوارق ظلت تتصدى للاستعمار بشكل تقليدي في الأول (غزو، سرقة، سلب، هروب وتجنب)، إلا أنهم عرفوا في مرحلة ثانية مقاومة بشكل

حديث هذه المرة ابتداء من سنة 1916م بقيادة زعماء حرب حقيقيون أمثال فيهرون، وسلطان أغداس تاغاما وكاوسن، الذين شكلوا بحق المقاومات الكبرى المسلحة (الثورات) في العهد الاستعماري لإقليم النيجر آنذاك.

2. إرهاصات ثورة أغداس ودواعي انتفاضات الطوارق

ألحق الغزو الفرنسي أضرارًا بالغة بالأهالي، على جميع الأصعدة وخاصة منها الاقتصادية، وهو ما زاد في درجة السخط العام ضد المستعمر، كما ساعدت تتابع سلسلة من الأحداث كانت لها جاذبيتها في تحويل هذا السخط العام نحو الثوران، وعاملا مهما في إخراج مكبوتات الطوارق الداخلية ضد الفرنسيين، وإعلان حركة المقاومة لطرده نهائيًا، كما كان لوجود قادة حرب عرفوا كيف يوجهوا هذه الحركة في الظروف المناسبة لذلك، لمنح هذا المشروع الهام النجاح، ويمكن أن نوجز الأسباب والدواعي التي كانت وراء ثورة الطوارق إلى ما يلي:

1.2. السياسة الاستعمارية الضاغطة على قبائل الطوارق

زيادة على ضريبة الخضوع السنوية المرتفعة، عمدت السياسة الاستعمارية إلى تفقير الطوارق من خلال مصادرة الإبل والجمال، وهي من القطعان الهامة والثمينة عند الطوارق، بحجة المشاركة في القوافل التجارية مقابل أجر زهيد، وزادت هذه المصادرة التعسفية عندما قررت السلطات الاستعمارية إحتلال منطقتي التبستي والكاوار، ابتداء من سنة 1913م، إذ صادر الفرنسيون قطعانا مهمة من الجمال للنقل والتموين، ففي سنة 1915م قدمت قبائل الآيير ما يزيد عن 850 جملا، لقوافل الحراسة بالتبستي من جملة 1100 جمل كانوا مطالبين بها[7].

2.2. انتشار مجاعة سنة 1914م

بسبب ندرة التساقط التي تعرض لها إقليم النيجر منذ سنة 1912م، تعقدت حياة الطوارق أكثر، خاصة وأنهم يقطنون بيئة شبه صحراوية ازدادت جفافًا أكثر ومست الأراضي الفلاحية على النهر في سنة 1913م، وأعقب هذا القحط مجاعة كبرى، أودت بالعديد من الضحايا حتى وصلت بالآلاف[8]. وقضت على العديد من قطعان الماشية، ومن ثمة انتشرت المجاعة على طول النهر، ومس القحط الأراضي الزراعية لمناطق الهاوسا المعروفة بإنتاج الحبوب، والتي كان الطوارق يتزودون منها عن طريق المبادلة بقطعان الماشية والإبل، وهذا ما أدى كذلك إلى توقف التجارة المعروفة بالآزلاي لمدة سنتين ما بين هذه المناطق، وبقي ملح الكاوار دون مشتري لعدم توفر الحبوب في الجنوب، ولتوقف الطوارق بضمان النقل بعد أن هلكت قطعانهم المتبقية التي استنزفت من مصادرة الفرنسيين ودفع الضريبة[9].

3.2. الحرب العالمية الأولى وتداعياتها

حيث ساهمت الدعاية بهزيمة الفرنسيين في توعية شعوب إقليم النيجر، وكذا لآثار هذه الحرب التي وصلت متطلباتها حتى إقليم النيجر، من زيادة المصادرات وإخفاض وإنقاص جنود الاحتلال وموظفي الإدارة الفرنسية، ورغم المجاعة والضعف الاقتصادي للبلاد، لم تمنع المستعمر الغاشم من إضافة ضريبة جديدة على

الأهالي، هي ضريبة الدم أو التجنيد القسري، حيث وصل عدد مجندي الإقليم العسكري للنيجر خلال الحرب إلى 3948 مجند[10]. وهو ما دعا بالكثيرين بالهجرة الجماعية إلى شمال نيجيريا وبالتالي فقدان الأراضي الفلاحية لكثير من عامليها وفلاحيها.

4.2. ثورات ومقاومات الطريقة السنوسية

لما كانت فرنسا تحارب جند أتباع السنوسية في التشاد بالأخص، كانت إيطاليا هي من تواجه أكثر مقاومة السنوسية في جنوب ليبيا، بعد الحرب الإيطالية العثمانية في سنة 1911م، ففي سنة 1914م أعلن السلطان العثماني باعتباره الخليفة الجهاد ضد دول المحور، فهاجم أتباع السنوسية وتمكنوا من طرد الإيطاليين من "الفزان" وإجلائهم في جانفي 1915م، تاركين وراءهم كميات معتبرة من الأسلحة والذخيرة استولت عليها السنوسية. مع العلم أنه لم يكن للطريقة السنوسية قبل حضور الفرنسيين وجود في بلاد الطوارق الذين بقوا أوفياء للطريقة القادرية، لكن دعواهم للجهاد ضد الكفار لقيت القبول والترحيب من طرف هؤلاء الطوارق[11]. الذين كانوا قد شاركوا سابقا في الدفاع على قلعة السنوسية في قرية بير العلالي (الكانم) في جانفي 1902م، بقيادة "محمد عقيلة" خليفة "محمد البراني"، لكنه قتل هو الآخر رفقة 164 من جنده في ديسمبر1902م[12] وفضل الكثيرون بعدها العودة لمواطنهم.

5.2. انتفاضات طوارق الغرب

ظهرت عدة انتفاضات لدى فروع الطوارق، كانتفاضة طوارق ثنية نهر النيجر بقيادة المرابط "**محمد أحمد**" ابن الجنيدي آق ألونتيهاي Ag Alentihai، الذي جمع أزيد من 2000 محارب[13]. وقامت حركته في شهر ديسمبر 1915م، خاض المقاومون الطوارق وأتباعهم من السودانيين، معارك طاحنة ضد المستعمر طيلة 5 أشهر (مارس إلى جويلية 1916)، واستمرت المقاومة حتى سنة 1917م، إلا أن الهزائم التي لحقت بهم لعامل التفوق العسكري، خلفت خسائر بشرية كبيرة خاصة في معركة تينالاباك Tinalabak في 13 مارس، ويومبولي Yomboli في 14 جوان 1916، فككت وفتت تكتل المقاومين[14].

ثم ظهرت انتفاضة طوارق الإيويليمدن بقيادة الأمينوكال **فيهرون أق الإنسار** Fihrun Ag El Insar[15]، الذي أعلن الثورة العامة على الفرنسيين تزامنا وثورة المرابط "محمد أحمد"، حيث كان مع نهاية شهر فيفري 1916م، أن جمع فيهرون جنوده المكونة من طوارق "إيويلمدن كال أتارام" وطوارق ثنية النيجر وشارك حتى عرب جنوب الجزائر[16]، كما التمس فيهرون مساعدة كال آيير وكال آهقار، إذ أرسل إلى الأمينوكال موسى أق أمستان لكن هذا الأخير بدا غير مبالٍ، وخاض فيهرون عدة معارك وهجم على عدة حصون للفرنسيين في مناكا والفيلانج Filingué، لكنه خسر عددا كبيرا جدا في محاولة سيطرته على هذا المركز الأخير لعامل التفوق العسكري للجنود الفرنسيين، ثم تلقى ضربة مدوية أخرى في معركة "**آدر نبوكار**" التي أسفرت نتائجها عن مجزرة مروعة، ذهب ضحيتها قرابة 800 محارب طارقي حسب المصادر الفرنسية[17]، وقتل فيهرون فيما بعد على أيدي طوارق الآجر.

3. استشراف سلطان أغداس لمصير ثورات الطوارق

كان لأصداء ثورات طوارق الغرب ولمعارك السنوسية في الشمال، والتي كانت وراء الرحيل السريع للجنود الفرنسيين من التبستي، تأثيرا كبيرا وتفاعلا هامًا على طوارق الآبير، ساهمت كلها في تأصيل وتجذير مقاومة الاستعمار، وتسارعت الأحداث في هذه الأثناء بالمنطقة، بداية من شهر مارس 1916م، بالتعرض والهجوم لكتيبة الربط لـ "**بيلما Bilma**" على مشارف أساكاس Asakas، من طرف جنود السنوسية حسب المصادر الفرنسية[18]. وفي الشهر التالي شنت غارات من طرف عرب أولاد جرير، وسلبوا قرى دائرة أغداس وشمال الأزواغ، وتقدموا بالنزول في شهر جويلية حتى على مشارف مدينة "**تاوا Tahoua**"، وبسبب هذا الظرف قام الملازم لونوار Lenoir قائد قطاع التبستي بإجلاء مراكز بارداي Bardaye، زوار Zuwar والتخلي عن التبستي نهائيًا في 27 جويلية 1916م. وكانت معارك زوريكا Zurika، أمازيلا Amazela، تابارداك Tabardak، وأخيرًا معركة واد إن تاغورن In Tagoren، التي تكبد فيها الطوارق خسائر ثقيلة بوفاة 30 محاربا وفقدان قرابة 200 جملا بسبب عامل المفاجأة[19].

وقاد المحارب "تومينيك" في شهر سبتمبر جيشا من 500 محارب ضم القبائل الحليفة له من كال تدال، إيفاداين، الإهقارن، كال زيناوات Kel Zinawat، كال تاكريزا Kel Takriza، إيزليتن Izelliten، ليهاجم كال تيميا وغزوهم. وامتدت حالات الثوران والتمرد حتى الجنوب ناحية ماداوا وتاوا خلال شهر أكتوبر، كما استغلت قبائل الإيموزراغ في الدمرغو الظروف ليظهروا عداوتهم ومعارضتهم للإدارة الفرنسية، إذ قاموا بسلب قافلة شهر نوفمبر دون أن ترد السلطة الاستعمارية، وهو شاهد على عدم قدرة المستعمرين التحكم في الوضع في كل الجهات، ولم يعد بمقدورهم احتواء هذه الانتفاضات[20]، على الرغم من عدم توحدها أو التنسيق فيما بينها، وهو الأمر الذي سيعمل عليه سلطان أغداس لإعطاء المقاومة أكثر تنظيما وتوحدا، لفاعلية أكثر وهدف واضح وجوهري.

1.3. تخطيط سلطان أغداس لإشعال الثورة

ولد السلطان عبد الرحيم تاغاما نحو 1880م في دوغوراوا Dogorawa، وكان والده سلطانا على أغداس سابقًا محمد البكاري El-Bakary المدعو باسوفو Basofo (الشيخ بلغة الهاوسا) وأمه هابساتو[21] Habsatou، تابع دراسته القرآنية بأغداس ثم شرع في تجارة صغيرة متبعا قوافل تجارة الجنوب (كانو، كاتسينة، ساكواتو...)، وصل إلى سدة الحكم في سنة 1907م، بتنصيب من الفرنسيين بعد خلع السلطان إبراهيم الدسوقي[22] الذي أصبح في نظرهم غير قادر على تحمل المسؤولية، حتى يفهم أنه غير خاضع لأوامرهم وشروطهم.

وعلى الرغم من أنه منصب من طرف الفرنسيين، ظل تاغاما كعادة أبيه السلطان القديم محمد البكاري متواضعا، متعاطفا ومحبوبا من طرف رعيته لقربه منهم، وجوده وسخائه عليهم خاصة خلال مجاعة 1913م-1914م. التي أطلق عليها الشعب اسم "**يونوا تاغاما Yunwa Tagama**" التي تعني مجاعة زمن تاغاما

بلغة الهاوسا[23]. تخليدا لكرمه ودوره فيها. وبالرغم من المكانة التي يحظى بها سلطان أغداس عند رعيته، إلا أن سلطته كانت منقوصة على الطوارق بالخصوص، الذين كانوا وراء تأسيس سلطنة الآيير في القرن 15م وعاصمتها أغداس حتى هذا التاريخ[24]، وكان دوره التحكيم بين القبائل فقط، كما كانت إحدى مظاهر سلطته هو رئاسة الاجتماع السنوي في أغداس الذي يدعى "**آمني Ameni**" بالتامشاغ و"**سانساني Sansanni**" بالهاوسا، ويتم فيه التقاء رؤساء قبائل الآيير من كال غرس، الإيتزاين وإيويلمدن الغرب، لطرح شكاويهم وتظلماتهم ومطالبهم ليحكم فيها السلطان وقراراته يستمع لها على الأقل.

وعلى الرغم من أن سلطة السلطان تاغاما على الطوارق ضعيفة وشكلية، لكننا نعتقد أن السلطان لما رأى نفسه يلعب دور الحكم بين هؤلاء القبائل، والتي معظمها قامت بانتفاضات وثورات على المستعمر، وكانت فردية وغير منسقة، أنه بإمكانه أن يوحدهم جميعا لخوض ثورة فاصلة لطرد المستعمر، وإعلان الجهاد الذي كان قد دعت إليه السنوسية في الشمال، ومعروف عن تاغاما ورعه وتقواه ما يجعل الكثيرين يلتفون حوله، وبنجاح ثورته وطرد المستعمر سيمكنه ذلك من إعطاء نفوذ قوي لسلطته، وإعادة هيبة سلطنة الآيير.

وحتى يحقق هذا يجب عليه أن يحضر للثورة ويأخذ بأسبابها، وهو ما رآه في رجال السنوسية لمساعدته في التزود بالسلاح، الأمر الذي دعاه لأن يتقرب من أتباعها بل قيل أنه اتبع الطريقة ذاتها، من خلال بناء مسجد داخل قصره عين عليه الإمام مالام ماهاما Malam Mahama – صديق سيدي هوم Sidi Houm وهما من جهة غات–، ويعود لهذين الاثنين الفضل في نشر الطريقة السنوسية في المنطقة، وبأن هذا الشيخ هو الذي أدخله إلى السنوسية بعد أن كان قادريا منذ صغره وذلك في حدود سنة 1913م[25]، كما أخبر تجار كال تادال –الذين وصلوا بتجارتهم حتى منطقة التشاد– السلطان تاغاما إنجازات ونجاحات أحد شباب الطوارق المدعو "**كاوسن**"، القائد الكبير في صفوف السنوسية ومعاركه ضد المستعمر، وربطوا بينهما وطلب منه تاغاما أن يأتي إلى الآيير لمساعدته في طرد المستعمر.

2.3. انضمام ضابط السنوسية كاوسن للثورة

كاوسن آق محمد وان تجيدة[26] Kaoussan Ag Med Wan Tegida، ولد بالدمرغو نحو 1880م من قبيلة طوارق الإيكاسكازن Ikaskazan وأكثر تحديدا من فرع إيجارنازان Igernazan من كونفيدرالية كال وي[27]، وكما سبق الذكر إلى هجرة قبائل الإيموزراغ نهاية سنة 1900م، عقب وفاة موسى دمرغومة والتي تبعتها كامل قبائل الدمرغو، كان كاوسن من ضمنهم في التوجه نحو الكانم ثم الإستقرار بغورو Gouro لوقت طويل، أين انتسب خلالها إلى الطريقة السنوسية في حدود سنة 1909م[28].

كما أثار كاوسن بنشاطه في الحروب انتباه شيوخ السنوسية إليه منذ سنة 1909م، عندما شارك بجانب "**عبد الله طوير**" شيخ الزاوية السنوسية لعين غالاكا، في الهجوم على المعسكر الفرنسي لـ واشنكال Ouachenkale الذي كان تحت قيادة الملازم الأول موتو Moutot، وتدريجيا نال تقدير شيخ الطريقة السنوسية "سيدي أحمد الشريف" لشجاعته وذكائه، ورقاه وعهد إليه قيادة إقليم الإيندي Ennedi (بالتشاد

حاليًا)، وعمل فيه لمدة 9 أشهر، ثم تصادم مع رجال القائد الفرنسي هيلار Hilaire، ولجأ إلى دارفور Darfour الذي تركه هو الآخر في أوت 1912م لعدم تفاهمه مع سلطانها "علي دينار" ليعود إلى بوركو، وفيها دخل في خدمة العثمانيين كذلك في عين غالاكا[29]. وفي ماي 1913م شارك كاوسن في معركة "أم العظام" التي قتل فيها عبد الله طوير من طرف الفرنسيين، ثم اتجه مع أتباعه إلى جهة الفزان وتزامن هذا مع تحضيرات الفرنسيين لاحتلال بوركو والتبستي، حيث احتلت عين غالاكا في 27 نوفمبر 1913م، والتي كانت تعتبر الواحة الرئيسية لبوركو، ثم التبستي في ديسمبر 1913م بعد إخضاع قبائل التُبو[30].

هذا وكانت السنوسية تخوض معارك شديدة ضد الإيطاليين بالفزان، ففي سنة 1914م سقطت مدن غدامس، غات، ومرزوق بضربات السنوسية وأجليت إيطاليا عن الفزان في سنة 1915م، وحصلت السنوسية حينها على أسلحة هامة من الذخيرة والأدوية تركها الإيطاليون، ساعدتهم في الهجوم على الجنوب الجزائري واستولوا على جانت في سنة 1916م[31].

في هذه الأثناء كان السلطان تاغاما في مراسلات واتصالات متقدمة مع كاوسن وشيوخ السنوسية لدعم انطلاق الثورة بالآبير، وفاقت اثنا عشر رسالة وجدت في قصر السلطان بأغداس بعد فك الحصار، ويتعلق الأمر برسالتين مهمتين أرسلت للسلطان تاغاما، كتبت الأولى من طرف "**سيدي محمد العابد**" في سنة 1913م، والأخرى بتاريخ نوفمبر 1916م مرسلة من طرف كاوسن للسلطان وأشراف القبائل[32]. فسيدي محمد العابد كان ممثل الطريقة السنوسية، ومراقب كل منطقة الجنوب الغربي للمنطقة الطرابلسية، وعلى الرغم من أنه لم يلتق السلطان تاغاما إلا أن العلاقة بينهما تعود لزمن طويل، قد تعود لسنة 1913م السنة التي اتبع فيها تاغاما الطريقة السنوسية وقرب منه أتباع وشيوخ السنوسية لنيته في القيام بمشروع سري مشترك. وبعد إذن سيدي محمد العابد لكاوسن بالعمل والتنسيق مع تاغاما للقيام بالثورة العامة، كان تاغاما يتراسل مع كاوسن لشرح مخطط الثورة التي لابد لنجاحها تعبئة كامل الطوارق، وهو ما ساهم به كاوسن بدوره بعد أن راسل في شهر أكتوبر 1916م أخواله الحاج موسى وأدومبار Adembar، وهما رئيسا الإيكاسكازن بالدمرغو يبلغهما إعلان الجهاد، وبأن الألمان والأتراك سينضمون ويلتقون بهم في كانو مع جنود السنوسية[33].

3.3. سلطان أغداس وتحريض قبائل الطوارق للجهاد

لقد كان لسلطان أغداس عبد الرحيم تاغاما دورًا محوريا وفعالاً في التحضير للثورة وقيادتها، بعد أن استطاع تجنيد جل قبائل الطوارق للآبير في آن واحد لتتوحد وتضرب بقوة لطرد المستعمر، وهذا ليس على اعتبار أنه رئيس سلطنة الآبير، وبالتالي سلطان الطوارق لأن سلطته عليهم بقيت شكلية، وإنما لقوة شخصيته ونفوذه الكبير وسط رعيته وبالأخص مدينة أغداس، فالرجل معروف بتواضعه، وسخائه وورعه كذلك، هذه المكانة التي كسبها جعلت جل قبائل الطوارق بالآبير تلبي نداءه للالتحاق بالمقاومة، سواء بشكل فردي أو بقيادة رؤسائها، كما فعل محمد إبراهيم رئيس قبائل "**الموسكارس**" الذي أحضر معه عرب "**تاوا**" كذلك، والأمينوكال "**الخورار**" الذي قاد قبائل "**كال دينيك**"، كما انضمت قبائل "**كال نان**" من الأزواغ و"**تايتوك**" إن

غال، وإيفاداين، وقبائل الدمرغو وحتى تُبو الكاوار والتبستي، وبعض القرى من المقاطعات المستوطنة بجانب المناطق الصحراوية بـ المانغا Manga والداماغارام، فكلهم التحقوا بالمقاومة[34].

لقد كان السلطان تاغاما هو روح هذه المقاومة، لأنه استطاع أن يوجه السخط المنتشر عند كامل الطوارق وجهته الصحيحة، وجمع حوله القوة الضرورية بغرض المعركة الحاسمة، وهذا ليس بغرض تحقيق طموحات شخصية وإنما ليلبي رغبة جماهيرية بالدرجة الأولى، وساعده في ذلك القائد العسكري كاوسن الذي كان وراء التحاق طوارق الدمرغو بالخصوص، إذ كان لكاوسن دورا كبيرا في تأجيج المقاومة لسمعته العسكرية التي اشتهر بها، مع التأكيد على أن الحرب كان لها أن تندلع رغم عدم وجود كاوسن في حال توفر الأسلحة اللازمة، فكاوسن جلب الأسلحة لكنه غريب عن المنطقة ولم يكن ليقدم على هذا المشروع لولا السلطان تاغاما الذي يتحكم بالبلد، وجذب الشعب إليه اعتبارًا لقدره، لكن محدودية قدرته العسكرية (تاغاما) جعلت من كاوسن هو القائد العسكري الأول، في حين كان تاغاما هو القائد الروحي للمقاومة،

لقد استفاد السلطان تاغاما من نظرة الفرنسيين له على أنه حليفهم، لأنه منصب من طرفهم، ثم لعدم إثارته مشاكل تجعله محل شك في ولائه، بل عمل على التقرب من المركز الفرنسي بأغداس وتعرف على دواليب سير الإدارة الفرنسية، وحاول دائمًا جلب انتباه النقيب "**بوش Bosch**" بأحداث تجري بالآبير، والغزوات المتكررة لتومينيك قائد الإيفاداين ضد كال تيميا الحليفة، وهذا لإرسال جنده هناك ليشتت جيشه ويضعف المركز[35].

وبالموازاة في غضون الثلاثي الأول من سنة 1916م، كان تاغاما حاذقًا عندما قتل أحد مقربيه ومعاونيه المرابط توراوا ميلي Turawa Méllé، الذي ربط علاقات متينة مع الفرنسيين، وكان "**توراوا ميلي**" سلطان توراوا أي "**رئيس العرب**" وهو الشخصية الثانية بعد السلطان، وكان قائد الحرب ورئيس قافلة "**بيلما**"، لكن بالرغم من مكانته العالية وأحد أكبر المرابطين الأصدقاء للسلطان والمقربين إليه، وبعد إظهار موقفه المخالف للثورة ضد السلطات الفرنسية، بعد أن أطلعه عليه تاغاما، وبعد خوف هذا الأخير من احتمال خيانته خطط لتصفيته، بأن أرسله في مهمة في ضواحي إن غال لقمع ثورة مزعومة للإيزليتن، وأعطى الأمر لقبيلة "كال فاداي" لتصفيته شهر ماي من سنة 1916م[36]، وهذا دون أن يجلب انتباه العسكريين الفرنسيين. بعدها شرع تاغاما في بناء مساكن لاستقبال كاوسن وأصحابه بأغداس، وصرح بأن هذه الأبنية موجهة لإقامة ضيوف مشاهير ومرابطين كبار[37].

4.الهجوم على المركز الفرنسي بأغداس

كان السلطان تاغاما مفكر الثورة ومهندسها، وكان مخططه في ذلك بدفع الفرنسيين إلى بعثرة جنودهم وتشتيت جهودهم في شمال الآبير، أين كانت الغزوات تتكرر دائما، ثم يستقبل الدعم والتعزيزات من الفزان بقيادة الضابط "**كاوسن**"، ليتم مهاجمة المركز الفرنسي بأغداس للاستحواذ على أعداد معتبرة من السلاح والذخيرة منه، ليشرع بعدها في تحطيم الحاميات الفرنسية الصغيرة التي ستفد شيئًا فشيئًا لأغداس، ليقوم بعدها

بحشد كامل الطوارق ويهجم بجميع جيشه ضد زندر قبل أن يذهب إلى كانو[38]. وبدا للسلطان تاغاما أن الأمور تجري وفق ما خطط له.

في مقابل هذا كانت مصالح استعلامات الإدارة الاستعمارية تعلم بتحضيرات السنوسية لغزو واجتياح شمال إقليم النيجر، عقب النجاحات التي حققتها ضد الإيطاليين في الفزان، مما جعل حاكم إقليم النيجر يبلغ النقيب بوش Bosch رئيس مركز أغداس، أن يضع حاميته في حالة دفاع لأي هجوم مرتقب، بمساعدة النقيب ساباتيي Sabatie الذي وصل في 01 ديسمبر 1916م[39] لدعم دفاع المركز، حيث قام بإعادة الجيش المشتت إلى المركز بأغداس، واحترز من تاغاما وأعطى تعليمات صارمة للرماة بحمل سلاحهم دائمًا.

أمام هذه الترتيبات السريعة والسرية بالمركز الفرنسي كان تاغاما في انتظار جيش كاوسن، الذي يجب أن يصل لأغداس مرورًا بالجادو Jado وإيفروان، والمُشكّل من الشعانبة ومن التُبو وبعض طوارق الشمال، والمجهّز بأسلحة حديثة مثل البنادق سريعة الضرب، رشاش، مدافع، كما كان الجيش يضم نسبة هامة من الجنود المحترفين، فالكثير منهم بالأخص فارين من الجيش الإيطالي ومن وحدات المهارى الفرنسية[40].

وصل القسم الأول من مشاة جيش كاوسن، التي شكلت الحماية الأمامية بقيادة "أغالي توبو شكوان"، رئيس فرع طوارق الإيكاسكازن إلى أغداس ليلة 12 ديسمبر 1916م، مسلحة بـ 200 بندقية وتضم أفواج الإيكاسكازن، كال فاداي، كال تادلي Kel Tadeli، الإيفاداين وكال فروان، التي التحقت قبائلها لتخيم قرب أغداس ملبية نداء السلطان تاغاما[41]، ومنذ وصول فرقة أغالي ليلا أمر تاغاما بإيقاف كل الأشخاص الذين لهم علاقات بالفرنسيين ويشتبه في عمالتهم، عمال، طباخين، مترجمين، نساء الرماة وأطفالهم وبعض التجار الذين من بينهم المفاوض التونسي محمد علان Allane، واقتيد عدد كبير منهم إلى السجن، ونفذ حكم الإعدام في البعض منهم مثل مترجم المركز الفرنسي سامبا Samba[42]. وبدأ جيش أغالي الهجوم على المركز باكرًا في صباح 13 ديسمبر، وكان المركز قد علم بتحضير الهجوم قبيل ساعات من طرف أرملة المترجم سامبا Samba المسماة دامو Dammo، سمحت للنقيب ساباتيي أن يفوت فرصة المفاجأة للطوارق بتنظيمه على عجل دفاع الحصن، الذي كان يبعد حوالي 1500 متر عن المدينة أغداس[43].

وصل كاوسن بدوره إلى أغداس رفقة رجاله يوم 17 ديسمبر 1916م، وهاجم الحصن لمدة ساعة من الزمن بقذائف المدفعية ورصاص الرشاش، إذ أطلق 25 قذيفة مدفعية لكنه لم يتمكن من دخول الحصن، وعاد في المساء إلى مقر إقامته التي حضّرها تاغاما، وفي الغد خطب تاغاما وكاوسن في تجمع كبير بأغداس وصرح كاوسن بأنه أتى بدعوة من تاغاما لطرد الفرنسيين[44]، وبحلول شهر جانفي 1917م، كانت كل القبائل تحت إمرة السلطان تاغاما[45]، لكن المرابطين رفضوا الدخول في الحرب بقيادة إمام قبيلة كال أغلال Kel Aglal، المدعو شافيرو آغ عبد الكريم Chafirou القائد لجميع القبائل المرابطية، بحجة أن كاوسن لا تتوفر فيه الشروط الشرعية لقيادة الجهاد رفقة الشعانبة، وأن هذه الدعوة إلى الجهاد تنقصها ضوابط شرعية[46].

والحقيقة هو أن المرابطين رأوا في نجاح هذه الثورة هو نجاح للطريقة السنوسية التي ستتدعم أكثر في المنطقة على حساب القادرية.

أثار موقف مرابطي الأزواغ هذا اضطراب آراء العديد من المرابطين في التحفظ من الثورة، ولما رأى كاوسن رجال الدين لأغداس تثاقلهم للدعوة للجهاد عرف أنهم لا يحبذون ذلك، وعمل على تعويضهم برجال الدين من القبائل المناصرة له لحمل شعار الجهاد، رغم أنهم ذو مقام عال بأغداس كإمام المسجد الكبير أحمد آغاك Aggak، القاضي سيليلي الكالي Silili Alkali، والمرابطين مالام عمار Mallam Omar، ومالام أحمد تامادي Tammadé، وحل محلهم الحاج الصالح رئيس كال أغاتن Kel Aghatan، والحاج هانبال Hanbal، وجبريلا Jibrilla الذين اعتمد واستند إليهم كاوسن لإعطاء شرعية دينية وجهاز قضائي للثورة، وهو ما احتفظت به الذاكرة الشفوية بـ "تغيير مرابطي تاغاما بمرابطي كاوسن"، على الرغم من أنهم ليسوا سنوسية إلا الحاج الصالح الذي ربما أصبح سنوسيا بظن "تريو" [47] Triaud.

في غضون هذه الأحداث والترتيبات كان الهجوم متواصلا على المركز المحصن الذي استعصى إسقاطه وطالت مدة حصاره، ربما لاتباع تاغاما وكاوسن خطة انتظار نفاذ مؤونة المركز وذخيرته وإجبار من فيه على الاستسلام، فالحصار الذي بدأ منذ 13 ديسمبر 1916م حتى 23 فيفري 1917م، يمكن تسجيل 8 هجومات حقيقية حاسمة هي يوم 13 ديسمبر، 17 ديسمبر (25 قذيفة)، 18 ديسمبر (39 قذيفة)، 27 ديسمبر، 9 جانفي (58 قذيفة)، 21 جانفي، 22 جانفي، و23 فيفري، وفي الهجوم الثامن هذا أصبحت المدفعية غير صالحة للاستعمال، في هذه الأثناء كانت حملات النجدة الفرنسية لمركز أغداس قد شكلت وهي في طريقها إلى أغداس[48]. مع أن الثورة قد اشتعلت في كامل إقليم النيجر من طرف القبائل الحليفة للثورة ضد القبائل المتعاونة مع للفرنسيين.

5. فشل الاستيلاء على مركز أغداس

منذ أول هجوم على المركز الفرنسي بأغداس في 13 ديسمبر، أرسل النقيب "ساباتيي" اثنين من الرماة وهما موسى غيغمان Guigman، وسونوما Sonoma لإيصال رسالة إلى زندر، لكن رجال الطوارق اعترضوا طريقهما ومنعوهما من إتمام المهمة[49]، كما تصدوا لحامية الملازم الأول سودون Soudan الذي انطلق من زندر في 26 ديسمبر متوجهًا إلى أغداس، إذ تمكنت فصيلة الطوارق بقيادة أراستان Arastan من هزيمة هذه الحامية وقتل "سودون" عند أبواب مدينة أغداس[50]، وفي 21 ديسمبر علم مركز زندر عاصمة الإقليم العسكري للنيجر بأن المركز الفرنسي لأغداس محاصر، من خلال أحد تجار "كال وي" الذي حسبه أن المركز هوجم من طرف ثلاث حاميات بجيش يقدر بحوالي 500 رجل، وهي مرشحة للزيادة لأن كل طوارق الآيير قد انظموا إلى الحرب[51]، كما أُبلغت الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية (A.O.F) بما يجري بأغداس، ليقرر الحاكم العام تشكيل حاميتين للنجدة، تنطلق الأولى من زندر تحت إمرة المقدم موران Mourin، والأخرى من تمبكتو بقيادة الملازم الأول بورجاس Bourges.

لكن الأمر المعقد بالنسبة لفرنسا التي كانت في خضم أوج الحرب العالمية، وبعد أن خففت من حامياتها في الأقاليم الصحراوية الجنوبية، لم يكن بإمكانها أن تقتطع جنودًا من الحاميات الصغيرة لتاوا، زندر، أو التانوت، لتشكيل حامية النجدة، لذا كان يجب انتظار إمدادات وتعزيزات من داكار نقلا بالبحر حتى لاغوس بنيجيريا، ومن لاغوس إلى كانو kano شمالاً عبر طريق السكة الحديدية، ووصلت الكتيبة الأولى إلى زندر يوم 15 جانفي 1917م. هذا ولم يقتصر سند الإنجليز للفرنسيين بالسماح للجنود الفرنسيين بعبور أراضيها فقط، بل باشرت بإرسال كتيبة من سوكوتو مكونة من 300 جندي، تموضعوا في ماداوا Madaoua، تاوا، وتيساوا، خوفا من نزول الطوارق إلى جهة الجنوب[52].

في هذه الأثناء كان الجنرال لابيرين Laperine قد نُصّب على رأس قيادة جديدة أنشأت حديثا، والخاصة بالمناطق الصحراوية والذي اقترح تشكيل ثلاث حاميات لفك الحصار على أغداس، في حين كان كاوسن وتاغاما قد استعدا للرحيل عن أغداس بعد محاولة الهجوم الفاشل ليوم 23 فيفري، وقرروا التخلي عن أغداس بعد سماع توجيه 3 حاميات نحو أغداس حتى لا يقعوا هم في حصار، حيث انطلقت اثنين من الجنوب والثالثة من الشمال من تمنراست[53]. هذا وكانت الحامية الفرنسية الأكثر أهمية[54] قد انطلقت من زندر يوم 08 فيفري 1917م بقيادة المقدم موران، حاكم الإقليم العسكري للنيجر، خاضت عدة معارك في طريقها للوصول إلى أغداس، أهمها معركة أداربيسانات Aderbissanet في 21 فيفري قتل فيها الطوارق عدة ضباط، منهم الملازم موران، والرقيب ميترال Métral، والكثير من الجند[55]، ومعركة بئر إيرايان Irayan التي انسحب فيها الطوارق لعامل التفوق العسكري.

دخلت حامية المقدم موران أغداس يوم 03 مارس، ونشبت مواجهة عنيفة على أبواب مدينة أغداس لمدة 4 ساعات أفضت إلى وفاة قرابة 50 من الطوارق، مقابل 10 من الفرنسيين[56]، وفي حدود الساعة الرابعة زوالا انسحب رجال كاوسن وتاغاما من المدينة أغداس، ليكسر الحصار حول المركز وبدأت الحامية الفرنسية بدك المدينة بالمدفعية لمدة ساعة من الزمن، وتمكنت الحامية من دخول المدينة ليلا بعد أن خرج جميع سكانها، وفك الحصار الذي ضرب على المركز الفرنسي قرابة 3 أشهر لينجو قرابة 300 محاصر توفي منهم 7 فقط[57].

6.رد فعل الفرنسيين العنيف على أهالي وعلماء المدينة

بفك الحصار على المركز الفرنسي الذي دام 80 يوما (13 ديسمبر 1916م إلى 03 مارس 1917م)، وكان لعامل الخوف الذي عاشه الفرنسيون خلال الأشهر المنصرمة، قد زاد من حدة غيض الفرنسيين للانتقام، وجعلت ملاحقة الثوار بيد من حديد، ما ترك المدينة خالية من ساكنيها بعد تنفيذ مجزرة شنيعة على أناس عزل، لم يشاركوا في الثورة احتموا بمساجد أغداس، ظانين خطأ أن جنود الاستعمار يحترمون الأماكن المقدسة. فلقد كان بدخول العقيد موران إلى أغداس يوم 03 مارس 1917م، أن قام مرابطي المدينة بكتابة رسالة إليه باسم قاضي أغداس "**الكالي سيليلي**"، وعلماء المدينة مالام عمار، أحمد أنغاغ، معلم محمد، معلم

أحمد يقدمون خضوعهم إليه مبينين أنهم لم يكونوا طرفا أو مساهما في حصار أغداس[58]، أو حتى مع تاغاما الذي همشهم، واحتقرهم كاوسن وحتى أهالي أغداس لم يكونوا معه، وجاء فيها: "**أما بعد نحن فقراء جاءو في أكدز ولا نعلم بشيء من الخبر حتى دخلوا علينا ليلا وأخذوا أموالنا وطعامنا ودوابنا... ونهبوا مالنا كله وبعد نحن ننتظر جوابك ونفعل به**". كما أضافوا أن السلطان تاغاما وكل محاربيه تركوا المدينة ولم يبق فيها إلا الفقراء: "... **نعلمكم بأن سلطان أكدز ومن معه وتوارق كلهم هربوا مع عيالهم وأموالهم وأصحابهم كلهم ولم يبق في البلد إلا فقراء فقط... ونحن جلسنا ننتظر قدومك ومن معك وتغيثنا من ظلم السلطان وأعوانه**"[59]، كما حملت الرسالة أن التجار العرب الذين هم بأغداس لا دخل لهم بالأحداث وهم مثلهم.

ورغم إثبات هذه الرسالة حقيقة الأمر إلا أن الفرنسيين رأوا غير ذلك، ولم يردوا بأي جواب، وإنما في عجل ثوران القمع وفي غيظ من الحقد والانتقام أبيد كل التجار العرب والمرابطين والأهالي، فكل المرابطين الذين فضلوا عدم الفرار وتحصنوا بمسجد مالام عمار تم ذبحهم بالسيف والخناجر وأبيد كل من هو في المسجد ثم فعلوا نفس الشيء بالموجودين بمسجد السلطان، وكذلك بالذين هم بالمسجد الكبير، وكانت المجزرة شنيعة جدًا في حق أناس عزل، إذ هلك قرابة 100 مرابط وأكثر من 300 ضحية[60] من أهالي البلد على الرغم من أنهم لم يكونوا مع جنود كاوسن وتاغاما، ولكن الفرنسيين قتلوا دون أن يستعلموا عن أحد وهو فعل مقصود لضمان إحلال الأمن، من خلال القضاء على المرابطين وتصفية النخبة المحرضة على الجهاد. وتم الاستيلاء على كل خيرات المدينة، من مواد غذائية وحيوانات وتم مصادرة المحلات وخزنت موادها في المركز العسكري، ثم ترك الرماة ليعيثوا فسادًا داخل القرية ليسلبوا وينهبوا كما يشاؤون.

7. انسحاب الثوار لصحراء الآبير

بدخول الفرنسيين إلى أغداس انسحب أنصار الثورة مع كاوسن وتاغاما نحو الشمال، عبر واد تيلوا Teloua متوقفين أول الأمر بتادليزا (30 كلم شمال أغداس) قبل أن يواصلوا سيرهم إلى غاية وادي تامزلاك Tamazlak (حوالي 100 كلم شمال أغداس)، وبقيت مع كاوسن إلا القبائل الوفية له منذ اليوم الأول[61]. في حين انتشرت القبائل الأخرى وتفرقت في الآبير، إذ لجأ كال فروان لمرتفعات تاراواجي Taraouadji بعد أن اختلف زعيمهم تامباري محمد كورما Tambari Med korma مع كاوسن، ولم يتفق معه وحضر خضوعه، وصعد كال تادال إلى جبالهم في أقصى الشمال، واتبعت كال وي الوديان في الشمال الشرقي للمرتفعات، كما مرت قبائل الطوارق للدمرغو نحو الشرق قرب وادي تابلوت بوركو Tabellot Bourkot (حوالي 150 كلم شمال شرق أغداس)، وترك أهالي أغداس المدينة بكثرة منهم من اتبع تاغاما وكاوسن، ومنهم من لجأ إلى مرتفعات تاراواجي[62].في هذه الأثناء كانت حامية "**بارجر**" قائد الإقليم العسكري لتمبكتو قد وصلت إلى أغداس يوم 18 مارس[63]، مرورًا بمناكا وإن غال، بعد أن قامت بعدة عمليات وهجومات على مخيمات الطوارق التي في طريقها، وتم الاستيلاء على العديد من المواشي والجمال لدعم الحملة وفرق المهارى، وبانضمام الحاميتين إلى بعض تشكلت حامية واحدة سميت "**حامية الآبير**" لتعقب جنود السلطان تاغاما وكاوسن في بلاد الآبير،

وفقا لأوامر القيادة العليا للأقاليم الصحراوية التي شكلت طبقا للقرار الوزاري لـ 12 جانفي 1917م، بإنشاء منطقة صحراوية بديلة من الناحية العسكرية، وتغطي هذه المنطقة الأقاليم العسكرية لواحات الجنوب الجزائري، والجنوب التونسي ويضاف إليهما التخوم الصحراوية لمناطق تبمكتو، تاوا، أغداس، بيلما وزوار Zouar لتكون قيادة ما بين الصحراء هذه في شكل مؤقت، عهدت رئاستها إلى الجنرال لابيرين[64] Laperrin.

8. مجازر الفرنسيين وترهيب القبائل الموالية

شرعت حامية الآبير الفرنسية في إجراء عمليات القمع، والعقوبة لإجهاض انتفاضة الطوارق وكسر ثورتهم على مرتفعات أغداس والآبير، وخرجت من أغداس يوم 25 مارس لتصل يوم 29 إلى وادي تامازلاك، أين كان يتحصن رجال تاغاما وكاوسن، واللذان كانا قد هجراه قبل يومين أو ثلاثة متخذين طريق الشرق باتجاه جبال باغزان Bagzin المحصنة طبيعيا، ومنطقة اللجوء التقليدية لقبائل الطوارق في حروبها، وهنا افترق الرجلان ورحل كاوسن باتجاه تيميا Timia مخلفا ذخيرة ومؤنًا، ودخل السلطان تاغاما وأتباعه في استراحة قصيرة. لتنطلق بعدها سلسلة من حرب العصابات والكر والفر بين رجال تاغاما والحامية الفرنسية التي ضمت أكثر من 800 جندي، ولكن لعامل التفوق العسكري للجنود الفرنسيين كان مقاتلي الطوارق يتناقصون يوما بعد يوم وخاصة في معركة واد تيرازارت Terazert حين فقد الطوارق 50 شهيدا من خيرة مقاتليهم[65]، لتبدأ سلسلة انسحاب القبائل من حلف تاغاما–كاوسن، والتي ازدادت أكثر عقب مجزرة "تانوت" الشنيعة.

تعود أطوار هذه المجزرة الشنيعة التي اقترفتها السلطة الاستعمارية في حق طوارق كال دينيك، بعد أن استفادت سلطة الاستعمار من تأخر التحاق كال دينيك بالثورة عقب ترددهم في ذلك، إثر موقف معارضة المرابطين لها لعدم شرعيتها حسبهم وأثّروا على الأمينوكال الخورار أول الأمر، قبل أن يقرر الالتحاق بالثورة لوحده، وقرر الأشراف من بعده دخول الحرب على عكس مرابطي الأزواغ، لكن القوة الكبيرة لم تربط الاتصال برجال السلطان تاغاما وكاوسن بعد أن اعترض طريقها النقيب سادوكس Sadoux، قائد دائرة ماداوا Madaoua الذي علم بالأمر عن طريق نزول المرابطين الشهيرين لكال أغلال شافيرو آق عبد الكريم وخمد المومين إليه فى تاوا، وأعلماه أن أشراف طوارق كال دينيك مجتمعين قرب بئر تانوت تاداراست[66]، من أجل الالتحاق بالثورة، حيث اعترض النقيب سادوكس بفرقته (120 بندقية، 2 رشاش، 130جندي)[67] طريقهم بصحبة الكاسوم Alqasum من قبيلة إيرولن Irreulen المعارض للثورة، الذي أقنع قائدهم "إخزي" بالعدول عن الأمر وبأن الفرنسيين يريدون أن ينصبوه أمينوكالا على "**كال دينيك**"، وكان الفخ الذي أدى بمجزرة مروعة ذهب ضحيتها قرابة 538 شخص، وسجن 207 آخرين في يوم 08 أفريل 1917م[68]. وبهذه المجزرة المأساة أبيد تقريبا كل محاربي الأزواغ، فبعض القبائل اختفت نهائيا كقبيلة كال أزار kel Azar والأخرى انتهت لأفراد قلائل[69]، وهو ما جعل الرعب ينتشر عند كامل القبائل التي فضلت العديد منها تقديم خضوعها للفرنسيين، بل ذهبت قبائل أخرى لمساندة ودعم الفرنسيين ضد الطوارق المقاومين أنفسهم، وهو ما أفقد الثورة شعبيتها وسندها الجماهيري.

9. تفكيك الفرنسيين لحلف القبائل وتراجع الثوار

بعد أن قضت حامية الأبير الفرنسية مدة شهر في تعقب المقاومين الطوارق، الذين نجحوا في الكثير من المرات من تجنبها، كانت هي فى كل مرة تفرغ غيظها على بعض المخيمات الصغيرة للطوارق، والبدو الرحل التي لا علاقة لها بحرب تاغاما وكاوسن، فجنود الاحتلال الفرنسي كانوا يقتلون أي واحد يصادفونه في طريقهم، ويقومون بحرق أي مخيم أو قرية يجدونها كذلك، ولم تسلم منهم حتى واحات النخيل المثمرة فى منطقة تيميا Timia (جوان 1917م)، التي كان أهلها لوقت قريب حلفاء مع الفرنسيين[70]، وأحرقوا واحة إيفروان وقريتها أيضا، واستولوا على معاشات السكان، وأحرقوا مسجدها ولم تسلم حتى الحيوانات، وقطعان المواشي من القتل بعد أن أخذوا حاجتهم منها، إذ وصل عدد الجمال المأخوذة من طوارق الآبير فقط خاصة كال وي إلى 1300 جمل، وجهت نحو الجنوب نهاية سنة 1917م، والأعداد القليلة من المواشي التي بقيت في بعض المخيمات لم تسلم هي الأخرى من السرقة، والسلب من طرف القبائل الأخرى بعد أن رحل وفرّ الرجال ولم تبق إلا النساء والأطفال[71].

وأمام ثقل سير حامية الأبير لضخامتها والظروف المناخية الصعبة الحارة، وقرب نفاذ المؤونة أجبرت على العودة إلى أغداس نهاية شهر أفريل، وكان أبرز نجاحها هو تقديم كال فروان إحدى أهم قبائل كال آبير خضوعها يوم 24 أفريل عن طريق رئيسهم محمد كورما[72] Kourma، وبتراجع الحامية الفرنسية عن الآبير تم تعويضها بدوريات استكشاف لمراقبة المنطقة وصد المقاومين، وهو ما سيدخل هذه المرحلة طورا آخر من الحرب هي حرب العصابات، التي إستعملت فيها الإدارة الإستعمارية سياسة خبيثة لتصفية الثورة، بأن قامت باستخدام قبائل كال وي وكال غرس بعد تدعيمهم بالسلاح بإجراء عمليات سلب ونهب على القبائل العاصية (المقاومة)، وهو ما سمح كذلك بتصفية حسابات قديمة بين هذه القبائل. فالمعروف أنه من بين قبائل الطوارق المهمة المشكلة لكال آبير، رفضت كال غرس الانضمام للثورة مفضلة انشغالها بنشاطاتها التجارية، كما ساعدوا الفرنسيين بعد فك حصار أغداس في حربهم ضد المقاومين الطوارق، وبفضل جمالهم تم نقل المؤونة إلى الواحات الجائعة لـ أغلام، الكاوار، جادو بفعل الحصار[73].

10. خلاف السلطان وكاوسن وتأثيره على الثوار

كانت معركة 13 أفريل 1917م في واد تيرازارت ضربة موجعة لأنصار المقاومة من رجال تاغاما وكاوسن، وظهر مشكل التزود بالأسلحة، والمؤونة خاصة بعد الابتعاد كثيرا عن أغداس، ومناطق الجنوب الفلاحي، وهو ما دعى بالكثير من القبائل تتخلى عن الثورة ولم يبق مع كاوسن إلا البعض من أفراد قبيلته[74]. كما كان لتعويض حامية الأبير الفرنسية بدوريات استطلاع، وكتائب صغيرة سريعة المشي والملاحقة بهدف مراقبة أقاليم الآبير من أعمال المقاومين، أن أصدر الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية في 27 جوان 1917م، بموافقة الجنرال لابيرين القائد العسكري للأقاليم الصحراوية تفكيك حاميات الاحتلال (موران وبارجر)، وعملت على الاستفادة من انضمام قبيلتين مهمتين لهما، وهما كال فروان في 24 أفريل وجزء هام من قبيلة

كال فاداي الذين رأوا أن كاوسن وتاغاما جردوهما من سلطتهم وخيراتهم وثروتهم من الجمال. لذا ستكون مناطق كال فروان وكال فاداي في الجنوب والجنوب الشرقي للأبير تحت رقابة القوات الفرنسية[75]، التي استعانت بتجنيد هاتين القبيلتين في ملاحقة أتباع تاغاما وكاوسن، كما هو الحال عند كال غرس وجزء من كال وي، وهي السياسة الفرنسية الخبيثة للتخلص من مقاومة الطوارق عن طريق الطوارق أنفسهم.

كما تراجعت عزيمة الثوار في الجهة الأخرى، خاصة بعد أن أصبح أتباع كاوسن يشككون في أقواله بعد وعوده بتلقي الذخيرة والسلاح من غات، بعد أن ظنوا كذلك لما كان يرسل الجمال إلى الشمال بغرض شراء السلاح على حد زعمه، وظل كاوسن منذ معركة 13 أفريل يتنقل من بئر إلى آخر، قبل أن يقيم في حدود بلاد الإيكاسكازن في إن كينيوان In kiniwan، وكان معه الشعانبة وحرسه من الفزان، وبعض عرب تاوا وفوج الموساكاراس، والإيفاداين، وكال غاروس، وكال فاداي، غير المتحالفين وأجزاء من كال آهقار بعد أن تمردوا عن موسى أق أمستان ومن بينهم أمغار Amghar من التايتوك، وأنابا Anaba أخو أتيسي، وكان معه الخورار أمينوكال الإيويلمدن كال دينيك، وبعض من طوارق الدمرغو، واستبشر المقاومون خيرا بعد إحرازهم كمية من الأسلحة دعمهم بها المحارب المختار كودوغو على رأس فصيلة من الإيكاسكازن نهاية شهر ماي 1917م آتيا من غات[76]، ولحق به كذلك فيما بعد فونا Fona رئيس كال تافيدات إحدى أهم قبائل كال وي.

سبق الذكر أن السلطان تاغاما كان ناحية الباغزان ولم يتبع كاوسن لوجود خلافات بين الرجلين، ويكون ربما قد اتجه شمالا بعد الهجوم على الباغزان سابقا، ولأنه لم يستطع إعالة أهل أغداس الذين معه قرر إرجاع العديد منهم، فمنذ شهر ماي وصل القاضي سيليلي إلى أغداس بمعية 200 شخص من الرجال والنساء والأطفال، وتواصلت الحركة لأسابيع من بعد، وأعاد تاغاما شعب أغداس شيئًا فشيئًا الذين هم معه مع تحذيرهم من قول أي شيء عنه، وفي خلال الرحلة الشتوية لسنة 1917م دخلت قرابة 1600 شخص لأغداس كان منها حوالي 250 رجل[77].

11.استشهاد قادة الثورة وخمود المقاومة

بعد أن ترك كاوسن وتاغاما وأتباعهما الأوفياء خاصة الخورار وكودوغو الآبير منذ مارس 1918م، على إثر الهزيمة التي منيوا بها في 01 مارس بأكاراو Akarao، أوغلوا في صحراء التنيري باتجاه التبستي الذي وصلوه في حدود شهر ماي 1918، إلا أن الخورار وبعض أوفيائه فضلوا الالتحاق بغات Ghat لكنه قتل في أكتوبر 1918م من طرف قبائل الأوراغن Oraghen (كال آجر) الذين غزو مخيمه بالقرب من غات[78]. دخل بعدها كاوسن وتاغاما في خدمة السنوسية إلى جانب سيدي العابد الذي طلب خدماتهما لاسترجاع الفزان من أيدي الأتراك بعد انسحاب الإيطاليين منه[79]، وأخذا طريق الفزان بعد تشكيل جيش (محلة) من 500 بندقية متوجهان نحو زويلة Zwila، لكنهما هزما وتم إلقاء القبض على كاوسن أثناء المعركة، ونقل إلى مرزوق حيث تم شنقه فيها يوم 05 جانفي 1919م[80]. وبإعلان الهزيمة انسحب تاغاما رفقة فونا نحو الكترون AlQatrun، ثم تاجارهي Tajarhi وأتبعه جنود الأتراك، ودخل معهم في مواجهات

لعدة أسابيع أدى إلى تشتت جيشه وبقي معه حوالي 50 رجلا فقط من الطوارق، في حين فضلت العديد مِن مَن بقي مِن قبائل الإيكاسكازن، والإيفاداين أن يسلموا خضوعهم في أغداس عقب وفاة كاوسن.

وأمام هذه الوضعية فضل تاغاما الانسحاب إلى جهة التبستي ثانية خلال شهر مارس 1919م، وكان هذا الانسحاب الجديد للطوارق قاسيًا جدا، إذ لم يكن لديهم معاش أو حتى جمال، وتوفى الكثير منهم من شدة العطش والإنهاك، وألقى الكثير بأسلحتهم لعدم قدرتهم على حملها، وبوصولهم إلى الجادو Djado استقبلهم رئيس التُبو "**كولوي Kolowei**". ثم حاول تاغاما المواصلة نحو التبستي لكنه أوقف هناك يوم 07 ماي 1919م مع أتباعه من طرف كتيبة فرنسية بقيادة الملازم الأول رايات Rayat، ودون شك بوشاية التُبو أنفسهم، فبعد معركة صغيرة فقد فيها تاغاما 18 قتيلا، وسجن 14، بينهم تاغاما وتمكن فونا واثنين من أتباعه من الفرار، في حين لم يفقد الفرنسيون ولا أحد لعامل المفاجأة[81].

أُقتيد تاغاما إلى سجن زندر يوم 24 أوت 1919م، وجرى نقاش طويل حول مسألة تشكيل مجلس القضاء المختص لمحاكمته، وكانت الحيرة والتردد كبيرين فضلا على أنه بدا وظهر عمليا في الواقع استحالة إيجاد شهود ضد تاغاما، معتبرين أن مجلس الحرب سيكون شرفا كبيرًا لتاغاما، وفي 10 مارس 1920م أمر الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية (A.O.F) بداكار إرجاع القضية أمام المحكمة الأهلية لدائرة أغداس، وكان من قبل قد كلف الضابط لوسيان لويس إدوارد Lucien Louis Edouard المدعو بوريان فيتالي Bouriant Vitali[82]، بجمع جرائم تاغاما في ظرف 23 يوم لمحاكمته.

وبتحويل تاغاما إلى أغداس يوم 17 أفريل 1920م، عمل النقيب فيتالي قائد دائرة أغداس والمكلف بجمع جرائم تاغاما، على تصفية تاغاما الذي وجد ميتا في زنزانته في 30 أفريل 1920م، وحسب "**ساليفو**" قتله الرقيب سوما كوليبالي Souma Coulibaly المكلف بحراسته بأمر من فيتالي[83]، في حين ذهب "**فيغلاستاد**" أن فيتالي قام بإعدام تاغاما بوضع السم له من طرف أحد جنوده حتى يدل على أنه انتحر[84].

ففي تقرير فيتالي كتب على أنه انتحر، إلا أن طبيب الدائرة "سوشار Souchard" لم يؤكد هذا الطرح، وأكد فعل الخنق بحبل، ثم اعترف فيتالي للطبيب أنه هو من قام بقتله بيديه، بعد أن دخل فيتالي في حالة سيئة من الصحة، وعصبية زائدة وانهيار عصبي وفقدان الذاكرة، وهذا ليسرع تباطؤ القضية ولينتقم لوفاة الفرنسيين في حرب الآيير[85]. وبعصيانه هذا على اعتبار أنه عسكري تم تجريد فيتالي من مهامه بواسطة مجلس الحرب ليحكم عليه بعدم الملائمة وألحق بسلك التقاعد في سنة 1926 في سن 47 سنة برتبة رائد ثم توفي 4 سنوات بعدها[86].

خاتمة

لقد شكلت مقاومة طوارق النيجر تهديدًا حقيقيًا للتواجد الاستعماري في إقليم النيجر، بانتشارها في كامل هذا الإقليم، بعد أن استطاعت أن تستنهض جل طوارق الإقليم وبعض المقيمين لمدة فاقت 03 سنوات، تزامنت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، ولو أنها عرفت بادئ الأمر سوء التنسيق وغياب الوحدة، ولكن ثورة الآيير

بزعامة السلطان تاغاما وكاوسن، حققت على الأقل وحدة العديد من قبائل الطوارق والكونفيدراليات للوقوف صفا واحدًا ضد المستعمر، بعد أن تناسوا ولو مؤقتا صراعاتهم القبلية التقليدية القديمة جدًا. فلقد أدرك الطوارق منذ بداية دخول المستعمر لمنطقتهم المصير المشترك الذي ينتظرهم جميعا، وكل محاولاتهم الفردية للتصدي إليه أو الهروب منه إلى حين، عرفوا أنها غير مجدية لكثرة عدته وتطور عتاده، وهو ما يحتم عليهم العمل الجماعي الموحد، والقيام بالثورة الشاملة التي استطاعوا أن يشعلوها وفشلوا في إنجاحها عقب خروجهم من أغداس، لعوامل الطبيعة القاسية، والمكشوفة أحيانا أخرى ومشكل المؤونة، ولعل الأهم هو خيانة العملاء وبعض القبائل الحليفة مع المستعمر. لقد استطاعت هذه الثورة أن تشعل الآيير وكامل الصحراء الوسطى، وتوحد لأول مرة كامل طوارق الآيير، بل ضمت إليها عدة حلفاء آخرين من الإيويلمدن، كال آهقار، من عرب كنتة ومن التُبو، ورجال الفزان، وشلّت فيها التجارة العابرة للصحراء التي تحكم فيها المستعمر، لكن قمع هذه الثورة كان قاسيا جدا إذ عملت السلطات الإستعمارية على تجويع القبائل، وأبادت أخرى خاصة الحليفة للثورة، كما راقبت بشدة تحركات المرابطين على اعتبار أنهم المؤلّبين على الثورة دائما، وأرسل العديد منهم إلى إقامات جبرية، وهُجّر آخرون إلى مستعمرات أخرى، أو مناطق أخرى في إقليم النيجر الذي سيعرف تغيير تسميته ابتداء من سنة 1922م، إلى مستعمرة النيجر باستقلالية إدارية ومالية، طبقا لمرسوم 13 أكتوبر 1922م، ولم تعرف هذه المستعمرة تثبيت حدودها النهائية إلا في سنة 1947م. هذا وتعد هذه الثورة أهم الثورات الشعبية في تاريخ النيجر، ومعلمًا مهما في تاريخ الحركة الوطنية النيجيرية من أجل استرجاع الاستقلال.

الهوامش:

(1) André Salifou : **Histoire du Niger**, Nathan, France, 1989, pp. 167-173.
(2) Yves Riou : **la révolte de kaocen et le siège d'Agades 1916-1917**, Niamey, 1968, pp. 2-7
(3) Ibid, p 07.
(4) A.N.N. : Tahoua, Major Betrix- rapport sur la situation politique de l'Azbin, de Mars–Avril–Mai 1907, et proposition la concernant, Zinder, 8 avril, 1907.
(5) A.N.N. : Niamey, 1E1/38- Extrait d'un rapport de Bilma, 1907, occupation d'Agadez et de l'Air.
(6) Jean Ganiage : **L'expansion colonial de la France sous la troisième république, (1871-1914),** Payot, Paris, 1968, pp 222-229.
(7) A.N.N. : Agadez, le Commandant du cercle d'Agadez au Lieutenant Colonel, Commissaire du Gouvernement Général du Territoire Militaire du Niger, Agadez, le 9 Juin, 1916.

(8) كان يقدر عدد سكان الإقليم العسكري للنيجر بحوالي 880 ألف نسمة في سنة 1913م، منها 715 ألف مسلم وتضم 70 ألف طارقي تقريبا. أنظر للمزيد: A.N.N. : Niamey, 1E7/21bis, Rapport d'ensemble sur l'organisation actuelle du Territoire Militaire du Niger 1913.

(9) Fin Fuglestad : «**Les révoltes des Touareg du Niger 1916-1917**», Cahier d'Etude Africaines,Vol. 13, N°49, 1973, Mouton & Co- Paris, p 85.

(10) قدر عدد المجندين للحرب في البدايات الأولى (من أوت 1914، أكتوبر 1915) بحوالي 200 رجل، أي ما يعادل 0.026% من مجموع السكان الذي كان يقدر بحوالي 750.000ن، ووصل إلى 2800 رجل (من أكتوبر 1915-مارس 1916) من الدوائر الجنوبية للمقيمين، وبالخصوص 5 دوائر هي زندر (1225 رجل)، نيامي (862 رجل) ماداوا (335 رجل)، غور Goure (218 رجل)، نغيغمي (158 رجل) وعلق أمر التجنيد لمدة سنتين من أفريل 1916 إلى ماي 1918 لاندلاع الثورات التي عرفها الإقليم، ليصل سنة 1918 إلى 950 رجل. أنظر للمزيد: Idrissa Kimba : le Territoire Militaire du Niger et la première Guerre Mondiale, « L'impôt de sang » et les reactions du populations, **Annales de l'université Abdo Moumouni de**

Niamey, T. V, 1997, pp 162-180 ; Fin Fuglestad : **A History of Niger 1850-1960-** Éd. Compridge, University Press, London, 1983, pp 94-103.

(11) Fuglestad (F) : Op. Cit, pp 82-120

(12) Yves Riou : Op. Cit, p 08.

(13) Mangeot (C) et Paul Marty : **les Touareg de la Boucle du Niger**, Emil Larose, Paris, 1919, pp 172-175.

(14) Edmond Séré de Riviere : **Histoire du Niger**, Ed. Berger, Levrault, Paris (VI), 1965, p 225.

(15) Salifou : Op. Cit, p178.

(16) Maurice Abadie : **La colonie du Niger,** société d'éditions géographiques maritimes et coloniales, Paris, 1927, Op. Cit, p 328

(17) A.N.N. : Niamey, 1E 7/21, Op. Cit, p 1

(18) E. Séré de Rivieres : Op. Cit, p 231.

(19) Yves Riou : Op. Cit, p 21.

(20) كان لمحاولة احتلال حصن بولينياك Polignac، من طرف طوارق كال آهقار في جنوب الجزائر، ومقتل القس شارل دوفوكو Charle de Foucauld بتمنراست يوم 01 ديسمبر 1916م، من طرف إيبوه اغ خابلي Ebeuh Ag Khabelli قائد فرقة من 30 رجلا قادمين من منطقة غات. يؤكد من جهة أخرى الصعوبة التي وجدتها فرنسا في الصحراء الوسطى، أنظر للمزيد: Riou (Y) : Op. Cit, p 22 ; Léon Lehuraux : **Au Sahara avec le Père Charles de Foucauld**, Baconnier, Alger, 1944, pp 165-192.

(21) André Salifou: **Kaoussen ou la révolte Senoussiste**, Etude Nigérienne, N°33, Ed. Copedith, Paris, 1973, p 58 ; Urvoy (Y) : Chronique, Op. Cit, p 153.

(22) Fuglested (F) : «Révolte et mort de Tegama Sultan d'Agades 1920», **Bulletin notes Africaines**, N° 152, Janvier 1976, Université de Dakar, IFAN, p 96.

(23) A.H.N. : Op. Cit, p 264.

(24) بخصوص تأسيس سلطنة الأيير أنظر: إبراهيم بتقة: **"جوانب من تاريخ سلطنة الطوارق بمنطقة الآيير في القرن 15م"**، مجلة دراسات إفريقية، مج.2، ع.3، ماي 2016م، ص ص. 27-45

(25) Jean Louis Triaud : **La Légende Noire de la Sanusiya**,Vol II, Ed. La Maison des Sciences de l'Homme, Paris, 1995, p 835.

(26) والده محمد وان تجيدة، هو ابن أحد الشرفاء الملقب بـ آغ أحمد Agg Ahmed القادم من جانت Janet، تزوج من امرأة من كال تاكارات تامزجيدا Kel Takarat Tamezjida لتشكل سلالته قبيلة إيشريفن تامسجيدا Isherifen Tamezjida، التي رحلت من الآيير مع غالبية إيجارنازان وسط القرن 19م، ليقيموا في الدمرغو لأسباب مجهولة وولد كاوسن نهاية القرن19م. أنظر: Idrissa kimba : **la formation de la colonie du Niger 1880-1922**, Thèse de Doctorat D'Etats, lettre et science humaine, 1987, p 1526 Université de Paris VII,

(27) **A.N.N. : Niamey, 1E 8/13**, rapport semestriel, situation politique des régions du Territoire Militaire du Niger dépendent des Territoires Sahariens, 1917,p 104 ; Boubou Hama : **recherche sur l'histoire Touaregs Saharienne et Soudanaise**, Présence Africaine, Paris, 1967, p 390

(28) A.N.N.: Niamey, 1E 8/13, Op. Cit, p 04

(29) Idem.

(30) عقب هذه الهزيمة ترك كاوسن ورفاقه البوركو إلى واحة تيمارين، وشارك بجانب صديقه المهدي سوني Sunni ابن محمد سوني الذي حارب التوغل الإيطالي في سنة 1915م، وكان في غات منذ أوت 1916م عقب إحتلال جانت وتلقى أمر القيادة من سيدي محمد العابد وكان معه بين 300 إلى 400 محارب نضامي، ومدفع ورشاشات وتوجه نحو أغداس .أنظرللمزيد: A.N.N. : Niamey, 1E 8/13, Op. Cit, p 04.

(31) Edmond Bernus : **Touaregs Nigériens, unité culturelle et diversité régionale d'un peuple pasteur**, Mémoire OROSTOM, N° 94, éd. OROSTOM, Paris, 1981, p 101.

تم حصار واحة جانت لمدة 18 يوما (06 مارس إلى 24 مارس 1916م)، وتولى القيادة السياسية الشيخ أحمد سلطان الجانيتي زعيم قبائل جانت ومنطقتها، والعدو اللدود للفرنسيين الذين احتلوا واحة جانت عام 1911م، وتولى القيادة العسكرية الشيخ عبد السلام الترهوني وسي العابد السنوسي الإدريسي، وتم محاصرة الحامية الفرنسية بجانت التي كانت تحت قيادة الضابط لوران لابيير Laurent Lapierre. أنظر للمزيد: يحي بوعزيز، **"إنتفاضة التوارق بأزجر والهقار (1916-1919م)"**، مجلة الثقافة، عدد 93، جوان 1986م، ص 181.

(32) Riou (Y) : Op. Cit, pp 85-86

(33) Idem.

(34) A.N.N.: Niamey, 1E 8/13, Op. Cit, p 04.

(35) Riou (Y) : Op.Cit, p 23

(36) Ibid, p 84; Salifou : Kaoussen, Op. Cit, pp 59-61.
(37) A.H.N.: Op. Cit, p 265
(38) Fuglestad (F): A History, Op. Cit, p 96.
(39) Salifou : Kaoussen, Op.Cit, p 63 ; Riou (Y) : Op. Cit, p 22.
(40) كان جيش كاوسن يظم أغالي رئيس الإيكاسكازن، سي عبد السلام عبد الرزاق القائد القديم لغات Ghat والمنحدر من جانت، البشير بن عبيداك Abidek قائد قديم لجانت لجأ إلى الفزان، العبيدان El Abiden رئيس كال تادال، تيميناك رئيس الإيفاداين، والمئات من الشعامبة، الذين كانو ضمن فرق المهارى من الفرق الصحراوية للجنوب الجزائري، وتحت إمرة مولاي بن قدور قائد فرقة تيديكلت Tidikelt أنظر للمزيد: A.N.N. : Niamey, 1E8/13, Op. Cit, pp 4-5.
(41) A.N.N.: Niamey, 1E8/13, Op. Cit, p 4.
(42) A.N.N. : Niamey, 1E4/ 14, Op. Cit, p 1.
(43) Jean Pierre Duhard: «la résistance épique de Touareg de l'Air », **Bulletin le Saharien,** N°109, 2tri, 1989, pp 8-13 ; Riou : Op. Cit, p 24.
(44) A.N.N. : Niamey, 1E4/14, déposition du témoin Tairou, p 2.
(45) شاركت كل قبائل الأبير والدمرغو في حصار مركز أغداس، إلا كال غرس الحليفة للفرنسيين، وتم محاصرة المركز بقرابة 3000 إلى 4000 محارب من الطوارق، كان المئات منهم مسلحون، أنظر للمزيد: A.N.N. : Niamey, 1E8/13, Op. Cit, pp 04-05.
(46) Triaud (J.L): Op. Cit, p 857.
(47) Ibid. p 861.
(48) Riou (Y) : Op. Cit, pp 25-29.
(49) Salifou : Kaoussen, Op. Cit, p 69 ; Nicolas (F) : **Tamesna : les Iwelleméden de l'Est ou Touareg Kel Dinnik**, Imprimerie Nationale, Paris, 1950, p 90
(50) Ibid. p 70.
(51) Fuglestade (F) : les révoltes, Op. Cit, p 102.
(52) Fuglestade (F): a History, Op. Cit, p 97.
(53) بقيادة النقيب ديبوميي Depommier على رأس 300 من رجال المهارى، بغرض الالتقاء مع حاميتي الجنوب في أغداس شهر فيفري، لكنها لم تصل وتم الاستغناء عنها لعدم الحاجة إليها فيما بعد عقب فك الحصار، أنظر: Triaud (J.L) : La légende, Op. Cit, p 880.
(54) مكونة من 1250 رجلا و 1880 جملا وهو عدد ضخم أنظر: Salifou : Kaoussen, Op. Cit, p 84.
(55) Riou (Y) : Op. Cit, p 46 ; Nicolas (F) : Tamesna, Op. Cit, p 92
(56) Ibid. p 54.
(57) Fuglestade (F) : les révoltes, Op. Cit, p 107 ; Salifou : Kaoussan, Op. Cit, p 95.
(58) Jean Louis Triaud : Un épisode oublie de la Guerre de Kaoussen la Lettre des Savants et des Notables Musulmans D'Agadez au Colonel Mourin (04 mars 1917), **Annales de l'Université de Niamey**, Tome I, 1978, p 270.
(59) نص الرسالة العربي منشور، أنظر: Triaud (J.L) : Un épisode, Op. Cit, p 267.
(60) Ibid. p 270.
(61) Riou (Y) : Op. Cit, p 68.
(62) A.N.N.: Niamey, 1E8/13, Op. Cit, pp 06-07.
(63) ضمت 740 رجلا منها 261 قائدا عسكريا إضافة إلى 608 من جمال وحيوانات نقل. أنظر: Salifou : Kaoussen, Op. Cit, p 96 ; Nicolas (F) : Tamesna, Op. Cit, p 97
(64) Idem.
(65) Riou (Y) : Op. Cit, pp 74-76.
(66) Bernus (E) : Touareg Nigériens, Op. Cit, p102 ; Nicolas (F) : Tamesna, Op. Cit, p 95.
(67) Idem.
(68) Triaud (J.L) : la légende, Op. Cit, p 856.
(69) Bernus (E) : Récits Historiques, Op. Cit, p 479.
(70 قام كاوسن بسجن أغومبولو Aghumbullu المرابط الشهير في الأبير وإمام كال تيميا، في أغداس بعد رفضه الدعوة للجهاد، والوقوف بجانبه. أنظر للمزيد:.Gerd Spittler : Op. Cit, pp 76-80
(71) Idem.
(72) Riou (Y) : Op. Cit, p 84.
(73) A.N.N.: Niamey, 1E8/13, Op. Cit, p 05 ; Salifou : Kaoussen, Op. Cit, pp 190-196.

(74) إستاء العديد من قبائل الطوارق من تصرفات كاوسن الذي سلبهم جمالهم ووجهها شمالا، ووعوده لهم بجلب الأسلحة كما أحسوا بفقد ثقته عند سيدي العابد الذي طال أن يمنح لهم الأسلحة، الأمر الذي أجبر الكثير من قبائل الطوارق أن تطلب الأمان لدى السلطات الفرنسية، وتقدم خضوعها أنظر للمزيد: A.N.N. : Niamey,1E8/14, Rapport Politique Annuel, 1917, 4em Trimestre, Zinder, 26 Fevrier, 1918, p 05.

(75) Riou (Y) : Op. Cit, p 84.
(76) Ibid. pp 86-87; Nicolas (F): Tamesna, Op. Cit, p 97.
(77) Triaud (J.L) : La légende, Op. Cit, p 898.
(78) Salifou : Kaoussen, Op. Cit, p 139.
(79) Fuglestade (F) : les révoltes, Op. Cit, p 116.
(80) Riou (Y) : Op. Cit, p 117 ; Nicolas (F) : Tamesna, Op. Cit, p 99.
(81) Triaud (J.L) : la légende, Op. Cit, p 941
(82) Fuglestad (F) : Op. Cit, pp 96-100.
(83) Salifou : Kaoussen, Op. Cit, p 115.
(84) Fuglestad (F) : révolte et mort, Op. Cit, p 99.
(85) Triaud (J.L) : la légende, Op. Cit, p 941.
(86) Fuglestad (F) : révolte et mort, Op. Cit, p 100.